الصراعات والنزاعات والحروب!! ويلات تتبعها مآسٍ تحصد الأرواح وتخلف الدمار والاعاقات التي لا تخفيها مرور السنين ولا تطيبها الأيام، فآثارها النفسية والجسدية ووقعها الزمني والمكاني ينبش جراحات تتوارثها الأجيال المتعاقبة، هي اليوم بحاجة ماسة من الجميع إلى تضميد ومسح الاحزان بالتوعية ونشر ثقافة التسامح .. كما أن على المنظمات الانسانية والحقوقية والتنموية وما أكثرها، ولا أبالغ إن قلت إن عددها قد يتجاوز عدد ضحايا الأحداث والحروب القيام بدور مساند في هذا الجانب لتجاوز آثار الصراعات المسلحة..

تحقيق / أسماء حيدر البزاز -

مصابون يعانون الاهمال وضيق العيش

ضحايا الحروب والنزاعات المسلحة .. اوجاع مستمرة!!

بدأنا مشوار أحداث اليمن بزيارة لبعض أسر حراس مؤسسات الدولة والتقينا بأسرة أحد أولئك الضحايا وهو الطفل محمد ابن الشهيد الجنيدي عامر حسين الخفجي حيث حدثنا قائلا: راح والدي شهيد الواجب في سبيل تثبيت الأمن والاستقرار في موطنه مبادراً للذود عن مرافق ومؤسسات الدولة إثر الأحداث التي مرت بها اليمن خلال 2011م، وإزاء الاشتباكات الحاصلة آنذاك استقرت رصاصة طائشة في عينيه سلبته حياته.

وأضاف بكلمات تخنقها العبرات والألم: هل فكرتم كيف ستغدو حياتنا بعد رحيل والدنا الذي كافح من أجل قوت يومه وناضل في الدفاع عن وطنه حتى آخر قطرة من دمه وهو يحمي منشآت اليمن لنطرد من منزلنا ويتدهور بنا الحال إلى غرفة هي السكن والعيش والملاذ لي ولكافة أفراد أسرتي وبالمقابل لا نلقى إلا الجحود والإهمال من الدولة!!

شهيد الوطن

وكان لنا لقاء مع بعض أسر ضحايا ثورة التغيير في اليمن حيث التقينا بزوجة الدكتور الشهيد أحمد حمود هادي قطران أم الشهيد حمود قطران التي أسدلت عبارات من الأسى والحنين لروح فقيدها الذي اخترقت جسده الطاهر رصاصة أردته على التو شهيدا في جولة كنتاكي أثناء مسيرة شبابية آنذاك مبينة: رحل زوجي الشهم المعيل الوحيد لنا ولأسرته بعد الله سبحانه وتعالى، وما إن رحل حتى تدهور بنا الحال وساءت بنا الأحوال وتفاقمت علينا الظروف بشتى مآسيها فلا منظمات تدعمنا ولا مؤسسات ولا جهات حكومية تنظر إلى وطأة مصابنا بعين العطاء سواء عطاءات عينية تقدم في مناسبات معينة من بعض المؤسسات الخيرية، بالرغم أن زوجي قدم نفسه رخيصة في سبيل اليمن وازدهارها ولكن ذلك لا يثمن عند البشر!!

ومن ضحايا الاشتباكات التي جرت في منطقة أرحب جبل الصمع التقينا بأسرة الشهيد الشاب محمد يحيى الدباء، حيث أفادنا والده بقوله: أثناء ما كان ولدي عائداً إلى منزله مع عمه تحت جبل الصمع، تم إطلاق النار بشكل مكثف على السيارة بسلاح 14/7 مما أدى إلى إصابة عمه واستشهاد محمد برصاصة خرقت جسده واستشهد على إثرها فوراً.

وأوضح يحيى: وهكذا راح ولدي ضحية صراع لا ذنب له بها سوى أنه مواطن لا حول له ولا قوة، فحسبنا الله، أن تصير دماء أبنائنا، تصفيات لأطماع وأحقاد وحروب تتاجر وتنتصر بحصاد الأرواح.

أسر الضحايا : ما ذنبنا أن يقتل أبناؤنا ونتشرد بسبب حروب عبثية

مأساة أسرة كاملة

وعن حرب الحصبة كانت لنا زيارات لعدد من الأسر فخرجنا بقصص مأساوية كان أكثرها مأساوية جريمة بحق أسرة كاملة يرويها لنا المتبقي من تلك الأسرة وهو حمزة عبد الرحمن شوبر بقوله: كان الوقت الساعة 12 ظهراً حين وصول القذائف إلى منزلنا فهرب والدي إلى حوش المنزل خوفاً منها، فأتته الشظايا على التو ومات. وبعدها هرعت والدتي وأخواتي مريم وريم وحنان وقد أصابهن الذعر والخوف وهن يحاولن الخروج من المنزل والهروب من القذائف ولكنها كانت لهن بالمرصاد وكان الموت حليفهن، وأما أنا فأعاني من إعاقة مزمنة لا يوجد هناك من يدعمني حتى بقيمة علاج فما الذي اقترفناه لنلقى هذا المصير؟!!

وعن أحداث تعز الدامية سقط العديد من الشهداء والجرحى وغيرها من الأحداث والمواجهات المسلحة، ومن أولئك كان فقيد تعز واليمن بأجمعها أسامة الوافي بعد أن كان مسعفاً للجرحى صار جثة هامدة تُحمل على الأكتاف برصاصة خرقت قلبه بحي الحصب بتعز. والحال نفسه يخط نفس التساؤل من قبل ذويه وأسرته، بل وأسر أولئك الضحايا والشهداء والقتلى وهم يرحلون ويتركون خلفهم أطفالاً وأسراً أو يعيشون ويتجرعون ثمن جروح ومعاناة لا ذنب لهم بها ولا يجدون مواساة أصدق من المعاناة!!

ضحية الإرهاب

اليمن تخوض حرباً شرسة ضد مكامن الإرهاب، وفي سبيل ذلك قدم الكثير من أبناء القوات المسلحة والأمن أروع ضروب التضحية والفداء، وقدمت قوافل من الشهداء، وإزاء ذلك التقينا بأسرة العقيد حسين الشبيبي -أحد قيادات الأمن البارزة في البلاد- والذي استشهد إثر كمين نصبه له عناصر القاعدة هو ومجموعة من رفاقه في أبين، فأوضح لنا ولده الأكبر قائلا: «إلى الآن ونحن مصابون بأزمة نفسية حادة، ويعترينا ذلك المشهد المرعب لأبي بعد استشهاده بعد حربه ودحره مكامن الإرهاب، والذي كان المفترض على الدولة أولاً أن تقدر هذه التضحية على الأقل لأسرة الشهيد، ولكن أملنا ورجاءنا بالله كبير!!

معاناة طفل

وبعد انتهاء المواجهات المسلحة، وتعاقب عليها السنين ستبقى المآسي وليدتها، ومن ضمنها الألغام إحدى وليدات الحروب الجائرة. وبصدد ذلك التقينا بأحد ضحاياها، وهو الطفل أسامة خالد محفل حيث قال: كنت ألعب أنا وأصدقائي فوقعت قدمي في موضع لم أكن أعلم أن فيه لغماً لينفجر على جسدي ويرديني معاقاً بعد أن مزّقت أشلاء من أسفل جسدي وشوهت أخرى.

بينما اكتفى والد أسامة بقوله: «لا نريد من الدولة ولا مؤسساتها ولا منظمات المجتمع المدني شيئاً سوى التكفل بمعالجة ولديّ، فحرام أن ينتهي مستقبله وحياته قبل أن تبدأ»!!

وأما معاقو وجرحى الحروب والنزاعات المسلحة في اليمن -وما أكثرهم- يخطون كل يوم مآسي، ويتجرعون مختلف المعانات والآلام .. هذا ما جاء على لسان أحدهم وهو سمير العقاري- 33عاماً- من محافظة المحويت مصاب في عموده الفقري وفي عينه اليسرى، فبعد أن كان معيلاً لأسرته ومصدر دخلها، صارعالة عليهم خصوصاً بعد مرض زوجته ووالدته المزمن، فلا استطاع علاج نفسه ولا تمكن من إيفاء متطلباتهم المعيشية، بل أضاف أنه وبالرغم من ذلك يلاقي مختلف الصعوبات والتهميش والإهمال المجتمعي المتعمد -على حد قوله!!

لا إحصاءات حكومية

بعد ذلك كانت وجهتنا لوزارة حقوق الإنسان ولظروف متعددة لم نتمكن من لقاء الوزيرة ولكننا التقينا بالأخت نسيبة غشيم - رئيس وحدة المعلومات بالوزارة والتي أفادت بقولها: هذه القضية جداً مهمة ونحن الأولى برصدها والاهتمام بها وتقديم مختلف أنواع الدعم والتوعية، وبالمقابل قد تعجزنا الميزانية المكرسة في هذا الجانب مع جهد الوزارة الدؤوب في ذلك، وأما عن إحصائيات ضحايا الأحداث والحروب في اليمن، إلى هذه اللحظة لا توجد لدينا بيانات وإحصائيات دقيقة عن ذلك.

دراسات

الأخت أمل المأخذي - المدير التنفيذي في المركز اليمني لحقوق الإنسان- أوضحت أنه تم إنشاء هذا المركز المعني بالحروب والنزاعات في اليمن للتأهيل والتدريب على القانون الدولي الإنساني وتحديداً اتفاقيات جنيف الأربع والبروتوكولين الملحقين بها ورصد وتوثيق الحروب والنزاعات المسلحة غير الدولية والحروب القبلية، وإعداد التقارير عنها وعن ضحاياها وأضرارها الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى رصد أوضاع النازحين بفعل الحروب والنزاعات المسلحة وإجراء دراسات مسح وتقصي لأوضاعهم واحتياجاتهم المعيشية والصحية والتعليمية وغيرها ومن ثم التوعية ونشر الوعي بقواعد القانون الإنساني الدولي ومسئولية أطراف النزاع في حماية حقوق الإنسان والفئات المشمولة بتلك الحماية.

> **مراكز التأهيل: ضحايا الحروب اقتصاديا واجتماعيا ونفسيا تنتظر المساندة والدعم من الدولة**

ضمهم مع الشهداء

وفي جهود نوعية لمؤسسة وفاء المعنية بشهداء وجرحى الثورة السلمية بادرت المؤسسة إلى الاهتمام ورصد ضحايا الأحداث -المرافقة للثورة الشبابية السلمية- أحداث الحصبة وأرحب وتعز ومحاولة التوسع لشمل ضحايا الحراك الجنوبي، جاء ذلك التصريح عبر لقائنا بالأخ ياسر الجابري -رئيس الوحدة الإعلامية بالمؤسسة- موضحاً أنها قدمت الدعم المادي لأسر الشهداء بمبلغ (مليون) ريال، والبالغ عددهم (1345)، ويندرج بعدها الجرحى والبالغ عددهم (1524) جريحاً بالإضافة إلى المصابين والمعاقين. وأضافت المؤسسة لائحة جديدة باعتبار ضحايا الأحداث والحروب والنزاعات المسلحة المرافقة في حكم شهداء وجرحى الثورة وتقديم الدعم اللازم لهم.

تأهيل نفسي

الأخ عبدالمجيد الزيلعي- مدير مركز سياج لتأهيل الناجين من الألغام ومخلفات الحروب- بيّن لنا الخدمات التي يقدمها المركز لأولئك الضحايا ومن أبرزها: مساعدة ضحايا الألغام ومخلفات الحروب في اليمن لمواصلة حياتهم بصورة طبيعية من خلال التأهيل النفسي والاجتماعي والاقتصادي، ومساعدتهم على تجاوز الإعاقة، وخاصة الأطفال وأسرهم، والتركيز على التأهيل النفسي بتقديم خدمات الدعم والإرشاد النفسي للضحايا وأسرهم من خلال برنامج متخصص تنفذه أخصائية علم نفس تقدم جلسات دعم نفسي للضحايا وإرشادات تثقيفية، كما يتضمن البرنامج المعاينة، وتنفيذ دراسات بحثية وأخرى ميدانية عن الضحايا ومساعدتهم في التغلب على مشكلات ما بعد الصدمة النفسية الناجمة عن تعرضهم لحوادث التفجير.

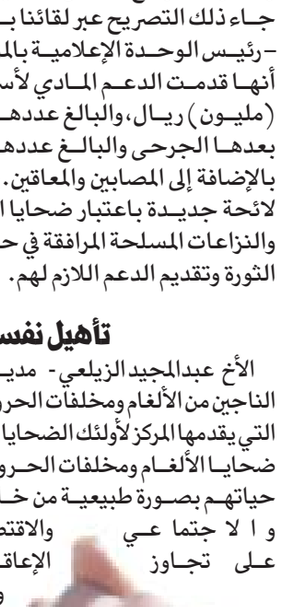

واسترسل الزيلعي حديثه قائلاً: وبعد ذلك نقوم بالتأهيل الاجتماعي: حيث يقدم المركز برنامجاً متكاملاً لتأهيل الضحايا اجتماعياً وإعادة دمجهم، وذلك من خلال دورات جماعية للضحايا وأسرهم يتم التركيز فيها على تنمية الثقة بالنفس وإكسابهم مهارات التغلب على الأزمات والتكيف مع الوضع الحالي وتقوية إحساسهم بالأمل والتفاؤل.

رأي مساند

رئيس منظمة «سياج» الأخ أحمد القرشي أكد أن المنظمة تنفذ حملات توعية بمخاطر الألغام والعبوات غير المتفجرة في مناطق الصراع وطرق تجنبها بالتنسيق مع الجهات الحكومية وغير الحكومية لرعاية الضحايا وتقديم الخدمات المناسبة لهم، بالإضافة إلى مناصرة الضحايا إعلامياً لإيصال صوتهم وتخفيف معاناتهم من خلال حث الحكومة والجهات المعنية على رفع مستوى الاهتمام بهم ورعايتهم، وكذا خلق رأي عام مساند لهم محلياً ودولياً.

تصوير / عادل حويس